تكريم الله للإنسان

لك أن تعجب من رحمات الله وبركاته، وتدهش من نعم الله وفضائله علينا، وتنبهر من خيرات الله وتوسيعه الرزق والفضل على هذا الإنسان، وكيف أن الله كرَّمه وأغدق عليه نعمه، وميزه بين جميع مخلوقاته وسخر له كل شيء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.

ومن التكريم الإلهي لبني آدم أنَّ الإنسان مخلوقٌ بيد الله، فقد خلقنا الله بيديه، وأي شرف أكثر من هذا، كما في قوله تعالى: ﴿يَابْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَى أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾.

فالله تعالى في هذه الآية يُظهر لإبليس قبح فعله، وشناعة تصرفه حين لم يلحظ الميزة الربانية التي جعلها الله لآدم، وهي كونه مخلوقا بيدي الرب، وهذه قمة التفضيل والتكريم.

- **ومن معالم التكريم الإلهي للإنسان:** الإعلان الإلهي عن خلق الإنسان.

وهذا لم يكن لغيره من المخلوقات، وكذلك تعليم الإنسان الأسماء كلها حتى فاق بذلك الملائكة الكرام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا

أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ - وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ - قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ - قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

- **ومن معالم التكريم الإلهي**: إضافة روح الإنسان إلى الله.

كما في قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجدين﴾.

وهذه الإضافة لا تكون إلا في مقام التشريف والتكريم، وهذه الإضافة تكشف عن أنَّ الإنسان ليس شيئًا ماديا، ولا مخلوقا جامدًا، وإنما فيه جانب آخر عالي المكانة، ورفيع القدر، وهو الجانب الروحي المضاف إلى الله تعالى.

- **ومن معالم التكريم الإلهي لنا**: أنه أمر الملائكة بالسجود لآدم.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ الْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِقٌ بَشَرًا من طين فَإِذَا سَوْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَم ساجدين﴾.

- **ومن معالم تكريم الله لك**: التأكيد على أن الكون مُسخَّر للإنسان، وأنَّه مُهيَّئ ليكون منسجما مع متطلبات الإنسان.

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وقال: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. وقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولا فامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.

- **ومن معالم تكريم ربنا لنا:** إقسامُ الله على أنَّه أحسن خلقة الإنسان وأكملها وأنه خلقه في أحسن هيئة.

كما قال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

فهذا القسم من الله من أكبر الأدلة على تكريم الإنسان.

ومن تلك المعالم: تسخيرُ الملائكة لخدمة الإنسان وحفظه.

قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾.

- **ومن أعظم أنواع التكريم التي أشار إليها القرآنُ:** أَنَّ الله تعالى جعل الإنسان محلا للتكليف، وموضعًا للقيام بأعظم مهمة في الوجود وهي عبودية الله.

وما جعله الله معها من إرسال الرسل والأنبياء، وإنزال الكتب، ومخاطبته لهم، وما ينال أصحاب الإيمان والتقوى من الخيرات في الدنيا والآخرة، وأعظمها النظر إلى وجهه الكريم، والفوز بلقائه.

ولك يا عبد الله أن تتأمل كيفية خلق الإنسان لتذهل من عظيم فضل الله على ذلك الإنسان، فقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾.

إن دور البشر في أمر هذا الخلق لا يزيد على أن يودع الأب ماء المني في رحم الأم. ثم ينقطع عمله وعملها. وتأخذ يد القدرة في العمل وحدها في هذا الماء المهين. تعمل وحدها في تنميته، وبناء هيكله، ونفخ الروح فيه. ومنذ اللحظة الأولى وفي كل لحظة تالية تتم المعجزة، وتقع الخارقة التي لا يصنعها إلا الله. والتي لا يدري البشر كنهها كما لا يعرفون كيف تقع. بل أن يشاركوا فيها!

قصة هذه الخلية الواحدة منذ أن تمنى إلى أن تصير خلقا، قصة أغرب من الخيال لولا أنها تقع فعلا، هذه الخلية الواحدة تبدأ في الانقسام والتكاثر، فإذا هي بعد فترة وجيزة ملايين الخلايا. فهذه خلايا عظام. وتلك خلايا عضلات. وهناك خلايا جلد وأخرى خلايا أعصاب، ثم هذه خلايا لعمل عين. وتلك خلايا لعمل لسان. وأخرى خلايا لعمل أذن. وهذه خلايا لعمل غدد إنها كلها تعمل وتنشئ هذا الكيان البشري في أحسن تقويم تحت عين الخالق ورحمته، حيث لا عمل للإنسان في هذا المجال، ثم خرج من بطن أمه صغيرًا ضعيف القوى، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار

يبني المدائن ويسافر في أقطار الأقاليم ويركب متن البحور ويدور أقطار الأرض ويكتسب ويجمع الأموال، وله فكرة وغور ودهاء ومكر ورأي وعلم واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه، فسبحان من أقدرهم وسيرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعايش والمكاسب، وفاوت بينهم في العلوم والفكر والحسن والقبح والغنى والفقر والسعادة والشقاوة. وأما نحن المسلمين المصدقين بلقاء ربهم وكتبه ورسله فإلى نعيم دائم، وخلود متصل، ومقام كريم، وجنة عرضها السماوات والأرض في جوار رب العالمين، وأرحم الراحمين، وأقدر القادرين، وأحكم الحاكمين، الذي له الخلق والأمر، وبيده النفع والضر، الأول بالحق، الموجود بالضرورة، المعروف بالفطرة، الذي أقرت به العقول، ودلت عليه الموجودات، وشهدت بوحدانيته وربوبيته جميع المخلوقات، وأقرت بها الفطر، المشهود وجوده وقيوميته بكل حركة وسكون، بكل ما كان وما هو كائن وما سيكون. أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم.

*** *** ***

الخطبة الثانية

- **ومن معالم تكريم الله لك يا عبد الله أنه أزاح عللك.**

ومكنك من التزود إلى جنته، وبعث إليك الدليل، وأعطاك مؤنة السفر وما تتزود به وما تحارب به قطاع الطريق عليك. فأعطاك

السمع والبصر والفؤاد، وعرفك الخير والشر، والنافع والضار، وأرسل إليك رسوله، وأنزل كتابه ويسره للذكر والفهم والعمل، وأعانك بمدد من جنده الكرام، يثبتونك ويحرسونك، ويحاربون عدوك ويطردونه عنك، ويريدون منك أن لا تميل إليه ولا تصالحه، وهم يكفونك مؤنته؛ وأنت تأبى إلا مظاهرة الشيطان عليهم، وموالاته دونهم، بل تظاهره وتواليه دون وليك الحق الذي هو أولى بك.

- **طرد إبليس عن سمائه، وأخرجه من جنته، وأبعده من قربه، إذ لم يسجد لك.**

وأنت في صلب أبيك آدم لكرامتك عليه، فعاداه وأبعده؛ ثم واليت عدوه وملت إليه وصالحته! وتتظلم مع ذلك، وتشتكي الطرد والبعاد! ذلك الإنسان أمره الله بشكره لا لحاجته إليه، ولكن لينال به المزيد من فضله، فجعل كفر نعمه والاستعانة بها على مساخطه من أكبر أسباب صرفها عنه!

وأمره بذكره ليذكره بإحسانه، فجعل نسيانه سببا لنسيان الله له، ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾.

أمره بسؤاله ليعطيه، فلم يسأله! بل أعطاه أجل العطاء بلا سؤال، فلم يقبل! يشكو من يرحمه إلى من لا يرحمه، ويتظلم ممن لا يظلمه، ويدع من يعاديه ويظلمه! إن أنعم عليه بالصحة والعافية والمال والجاه استعان

بنعمه على معاصيه، وإن سلبه ذلك ظل متسخطا على ربه وهو شاكيه!

دعاه إلى بابه، فما وقف عليه ولا طرقه! ثم فتحه له فما عرج عليه ولا ولجه! أرسل إليه رسوله يدعوه إلى دار كرامته، فعصى الرسول.

لم يزل يتمقت إليه بمعاصيه، حتى أعرض عنه وأغلق الباب في وجهه، ومع هذا فلم يؤيسه من رحمته؛ بل قال: متى جئتني قبلتك، إن أتيتني ليلا قبلتك، وإن أتيتني نهارا قبلتك، وإن تقربت مني شبرًا تقربت منك ذراعًا، وإن تقربت مني ذراعًا تقربت منك باعًا، وإن مشيت إلي هرولت إليك ولو لقيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا، أتيتك بقرابها مغفرة. ولو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك، ومَنْ أعظم مني جودا وكرما؟ عبادي يبارزوني بالعظائم، وأنا أكلؤهم على فرشهم إني والإنس والجن في نبأ عظيم: أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي خيري إلى العباد نازل، وشرهم إلي صاعد!

أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي!

مَن أقبل إليّ تلقيته من بعيد، ومن ترك لأجلي أعطيته فوق المزيد، ومن أراد رضاي أردت ما يريد، ومن تصرف بحولي ألنت له الحديد أهل

ذكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي. وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين. وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب. من آثرني على سواي آثرته على سواه.

الحسنة عندي بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة. والسيئة عندي بواحدة، فإن ندم عليها واستغفرني غفرتها له.

أشكر اليسير من العمل، وأغفر الكثير من الزلل. رحمتي سبقت غضبي، وحلمي سبق مؤاخذتي، وعفوي سبق عقوبتي. أنا أرحم بعبادي من الوالدة بولدها.

والله أشد فرحا بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض مهلكة دوية، عليها طعامه وشرابه، فطلبها حتى يئس من حصولها فنام في أصل شجرة ينتظر الموت، فاستيقظ فإذا هي على رأسه قد تعلق خطامها بالشجرة، فالله أفرح بتوبة عبده من هذا براحلته، وكذلك موالاته لعبيده إحسانا إليهم ومحبة لهم وبِرًّا منهم، لا يتكثر بهم من قلة، ولا يتعزز بهم من ذلة، ولا ينتصر بهم من غلبة، ولا يُعِدُّهُم لنائبة، ولا يستعين بهم في أمر. فهذا شأن الرب وشأن العبيد، وهم يقيمون أعذار أنفسهم، ويحملون ذنوبهم على أقداره سبحانه.